حتى يرد الضب قوله قس هو قس بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك
الايادي كان اسقف نجران وخطيب العرب وشاعرها وحكيمها كان ذا
شيبة حسنة وهيئة مستحسنة عمر سبعماية سنة وقيل غير ذلك يقال
انه اول من علا على شرف فخطب عليه واول من قال في كلامه اما بعد واول
من اتكأ عند الخطبة على سيف او عصى واول من تأله في العرب واعبد من
تعبد في الحقب وايقن بالبعث والحساب وحذر من المنقلب والمآب
وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد راه قبل مبعثه بسوق عكاظ وسمع
خطبته ولم يكن ذاكرا لها فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه انا اذكرها يا رسول الله
كنت حاضرا ذلك اليوم حين خطب فقال في خطبته ايها الناس اسمعوا وعوا
واذا وعيتم فانتفعوا انه من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت
مطر ونبات وارزاق واقوات واباء وامهات واحياء واموات جمع وشتات
وايات بعد ايات ان في السماء لخبرا وان في الارض لعبرا ليل داج وسماء
ذات ابراج وارض ذات رتاج وبحار ذات امواج مالي ارى الناس يذهبون
فلا يرجعون ارضوا بالمقام فاقاموا ام تركوا هناك فناموا اقسم قس
قسما حقا لا حانثا فيه ولا آثما ان لله دينا هو احب اليه من دينكم الذي
انتم عليه ونبيا قد حان حينه واظلكم اوانه وادرككم ابانه فطوبى لمن
آمن به فهداه وويل لمن خالفه وعصاه ثم قال تبا لارباب الغفلة من الامم
الخالية والقرون الماضية يا معشر اياد اين الاباء والاجداد اين من بنى وشيد
وزخرف ونجد وغره المال والولد اين من بغى وطغى وجمع فاوعى وقال انا ربكم الاعلى
الم يكونوا اكثر منكم اموالا وابعد منكم امالا واطول منكم اجالا طحنهم الثرى
بكلكله ومزقهم بتطاوله فتلك عظامهم بالية وبيوتهم خاوية عمرتها الذياب

العاوية

العاوية كلا بل هو المعبود ليس بوالد ولا مولود ثم انشد يقول

في الذاهبين الاولين … من القرون لنا بصاير
لما رايت مواردا للموت … ليس لها مصادر
ورايت قومي نحوها … يمضي الاصاغر والاكابر
لا يرجع الماضي الي … ولا من الباقين غابر

ولم يكن قس يخطر بباله ثم عرض له ذكره عند فصاحة الضب فشبه بفصاحة
الضب تمكينا لها وتحقيقا ومن الاستطراد في الكتاب العزيز قوله تعالى الا بعدا
لمدين كما بعدت ثمود فذكر ثمود استطراد ومنه قوله تعالى يا بني آدم قد
انزلنا عليكم لباسا يواري سواتكم وريشا ولباس التقوى وذلك انه لما ذكر
انكشاف السوآت وخصف الورق عليها وفي ذلك ما فيه من الافتقار وشدة
الحاجة الى التستر ناسب استطراد الكلام فيما من الله تعالى به على بني آدم
من اللباس الذي يواري سوآتهم ومن ذلك نظما قول السموال

فانا اناس لا نرى القتل سبة … اذا ما راته عامر وسلول

فانظر كيف كان يجري في سنن الافتخار فلوى الى الهجا ثم عاد الى ما كان عليه
من الافتخار فقال يقرب حب الموت اجالنا لنا ثم استطرد فقال
وتكرهه اجالهم فتطول ثم رجع الى الفخر فقال

وما مات منا سيد حتف انفه … ولا طل منا حيث كان قتيل

ومنه قول حسان بن ثابت

ان كنت كاذبة الذي حدثتني … فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الاحبة ان يقاتل دونهم … ونجا براس طمرة ولجام

فانظر كيف خرج من الغزل الى هجو الحرث بن هشام والحارث هنا هو اخو ابي جهل

Copyright © King Saud University